

باب مَوَالَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَقَاطَعَةِ غَيْرِهِمْ وَالْبَرَاءَةِ مِنْهُمْ

٢١٥- حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَهَّازًا غَيْرَ سِرٍّ يَقُولُ: «أَلَا إِنَّ أَلَ أَبِي -يَعْنِي: فَلَانًا- لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللَّهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ»^[١].

[١] هذه الموالاة والمعاداة أمرها مهمٌ وعظيم، فيجب على الإنسان أن تكون موالاته ومعاداته لله تعالى، يوالي الله، ويعادي الله.

وليعلم أن الموالاة والمعاداة، تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: موالاة مطلقة، وهي للمؤمن الذي لم يتلبس بمعصية، فإن هذا المؤمن نواله موالاة مطلقة، ونحبه حبًّا مطلقًا، ويجب علينا مناصرته بكل حال.

القسم الثاني: عكس ما سبق، وهي المعاداة المطلقة، وهي لمن ليس فيه إيمان، كالكافر، فيجب علينا أن نعاديه معاداة مطلقة، فلا نحبه، ولا نؤاذه، أي: نطلب مودَّته، ولا نناصره.

وقد صرح كثير من العلماء رحمهم الله: أن مَنْ ناصر كافرًا على المسلمين، فإنه كافر؛ لأن هذه من أعظم الموالاة.

القسم الثالث: الموالاة والمعاداة غير المطلقة، بمعنى: أن نوالي من وجه، ونعادي من وجه، وهذا في المؤمن الفاسق، نواله من جهة إيمانه، فنحبه على ما معه من الإيمان، ونناصره على ما معه من الإيمان، ونكرهه على ما معه من الفسوق، وكذلك نعاديه على ما معه من الفسوق، ولا نناصره على ذلك، أي: على فسوقه.

فإن قال قائل: وهل يمكن أن يجتمع في القلب حبٌّ وبُغْضٌ، وموالاةٌ ومعاداةٌ؟

قلنا: نعم، يمكن ذلك، أَلَسْتُ تتناول الدواء، وهو كَرِيهُ الرائحة، مَرُّ الطعم، فتحبه من وجه، وتكرهه من وجه؟ فمن جهة أن الله تعالى يجعل فيه الشفاء: تحبه، ومن جهة مرارة الطَّعْم: تكرهه.

وهذا الرجل كذلك، نحبه على ما معه من الإيمان، ولولا أني لم أحبه على ما معه من الإيمان، لكان هو والكافر على حدٍّ سواء، وأكرهه على ما معه من الفسق، ولولا ذلك، لكان هو وكامل الإيمان على حدٍّ سواء، وهذا خلاف القِسط، وخلاف العدل.

وهذا بالنسبة للفاعل، وإذا شئت فقل: بالنسبة للعامل، أما العمل فنكره الباطل مطلقاً، ولهذا نقول: البراءة من العامل غير البراءة من العمل؛ فالعمل - الذي هو الفسوق - نتبرأ منه مطلقاً، وكل المعاصي نتبرأ منها وإن لم تبلغ حد الكفر، وكل الطاعات نُؤايلها، ونُقَبِّلها، ونُحِبُّها.

وهذا فرق يجب اعتباره، وهو التفريق بين العمل والعامل، ونزيد ذلك إيضاحاً بهذا المثال: مؤمن زَنَى، فتتبرأ من الزنا - الذي هو العمل - مطلقاً؛ لأنه فسق، ونؤايله لإيمانه.

فإن قيل: هل يدخل في موالاة الكفار محبة عمل الكافر؛ لأنه يتقن عمله ويحسنه؟

فالجواب: لا؛ لأن هذه المحبة متَّجهة إلى العمل لا العامل، فهو لا يحبه شخصياً، بل يحب العمل الذي يُتقن، لكن مع ذلك نحن نقول: إننا نفضل المسلم

على الكافر في العمالة مهما كان؛ لأن الله تعالى قال في كتابه: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١].

وهذه في الواقع دعاية سيئة من بعض الناس -والعياذ بالله- حيث يقول: إن الكفار أتقن في أعمالهم من المسلمين، فيقال: الكفار يتقنون أعمالهم؛ لأنهم يعلمون أنهم لو لم يتقنوا أعمالهم لم يأتوا إلى المسلمين، فيجتمع فيهم الحشَف وسوء كيلة، لكنهم يحسنون العمل من أجل أن يمشوا مع الناس، ومع ذلك أقول كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾.

وقوله: «أَلَا إِنَّ آلَ أَبِي -يَعْنِي: فَلَانًا- لَيَسُوءُوا لِي بِأَوْلِيَاءٍ، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللَّهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ» والرسول صَلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم سَمَّى هؤلاء الأَقارب، لكن الرواة لم يذكروهم سترًا عليهم.

فقال صلى الله عليه وسلم: «لَيَسُوءُوا لِي بِأَوْلِيَاءٍ»، إذن مَنْ وَلِيَّه؟ قال: «إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللَّهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ»، كما قال الله تعالى -في سورة المائدة-: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥].

وفي هذا إعلان البراءة ممن لا يستحقون الموالاتة، وهذه هي ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام التي أمر الله سبحانه وتعالى بها في قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [المتحنة: ٤].

باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب

٢١٦- حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَلَامٍ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الْجُمَحِيُّ، حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ - يَعْنِي: ابْنَ مُسْلِمٍ -، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ»؛ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ؛ قَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ»، ثُمَّ قَامَ آخَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ؛ قَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»^[١].

[١] أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يدخل الجنة من أمته سبعون ألفًا بلا حساب، وسيأتي في بعض الألفاظ: «وَلَا عَذَابٍ»، يعني: أنهم يؤمر بهم إلى الجنة ولا يحاسبون.

فقام عُكَّاشَةُ بن محصن رضي الله عنه، ووفَّق للمبادرة، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ»، وفي لفظ آخر قال: «أَنْتَ مِنْهُمْ»، ثم قام رجل آخر، فقال: ادع الله تعالى أن يجعلني منهم، قال: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»، وذهبت هذه مثلاً.

واختلف العلماء رحمهم الله: لماذا قال صلى الله عليه وسلم: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»؟.

ف قيل: لأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم علم أن هذا الرجل ليس أهلاً لذلك.

وقيل: إنه أراد بذلك سدَّ الباب، حتى لا يقوم ثالث ورابع وهلمَّ جراً؛ لأنه

لو دعا لهذا، وقام ثالث، فكيف يكون الجواب؟ فإذا قيل: سبقك بها فلان، فالمعنى أن الأمر انتهى.

والاحتمال الثاني أولى؛ لأنه فيه دفع سوء الظن بهذا القائل -الذي قال: ادع الله أن يجعلني منهم-؛ لأنه ما طلب هذا إلا وهو من المؤمنين الموقنين بالجنة، وبيوم الحساب.

٢١٦- وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ زِيَادٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ، بِمِثْلِ حَدِيثِ الرَّبِيعِ.

٢١٦- حَدَّثَنِي حَزْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ؛ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ حَدَّثَهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي زُمْرَةٌ -هُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا- تُضِيءُ وُجُوهُهُمْ إِضَاءَةَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»؛ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصَنِ الْأَسَدِيِّ يَرْفَعُ نَمِرَةً عَلَيْهِ؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ»، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ».

٢١٧- وَحَدَّثَنِي حَزْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي حَيَّوَةُ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو يُونُسَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا، زُمْرَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ».

٢١٨- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ خَلْفٍ الْبَاهِلِيُّ، حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ، عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ، عَنْ مُحَمَّدٍ -يَعْنِي: ابْنَ سِيرِينَ- قَالَ: حَدَّثَنِي عِمْرَانُ قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ». قَالُوا: وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «هُمْ الَّذِينَ لَا يَكْتُوبُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»، فَقَامَ عُكَّاشَةُ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُجْعَلَنِي مِنْهُمْ؛ قَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ»، قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ».

٢١٨- حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ، حَدَّثَنَا حَاجِبُ بْنُ عُمَرَ أَبُو خُشَيْنَةَ الثَّقَفِيُّ، حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ الْأَعْرَجِ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ»، قَالُوا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «هُمْ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَطْبِئُونَ وَلَا يَكْتُوبُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»^[١].

[١] بيّن النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث وصف هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وهم:

الوصف الأول: قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «الَّذِينَ لَا يَكْتُوبُونَ» أي: الذين لا يطلبون من أحد أن يكويهم لأي مرض.

والكَيُّ نوع من أنواع الطب، كما قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إِنْ كَانَ الشِّفَاءُ فِي شَيْءٍ فَفِي ثَلَاثٍ...»^(١)؛ وذكر منها: الكي، وهو أمر مجرب،

(١) أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب الشفاء في ثلاث، رقم (٥٦٨١)، ومسلم: كتاب السلام، باب لكل داء دواء، واستحباب التداوي، رقم (٢٢٠٥).

ففي بعض الأمراض لا يشفى المريض إلا بالكي، كالمرض الذي يعرف بذات الجنب، وكذلك مرض يعرف - فيما سبق - بالحبة، وهي عبارة عن ورمة تنشأ في الحلق، أو مراقي اللحم، لا ينفع فيها إلا الكي، فإذا كُويت برئت وبُست، وشفي الإنسان منها بإذن الله، وإلا فالموت.

فالكي لا شك أنه مفيد، ويفيد -أيضاً- في حبس الدم عن النزيف، ومع ذلك لا ينبغي للإنسان أن يطلب أن يكويه، لكن إذا جاء إنسان وقال: أنا أريد أن أكويك، ففعل، فإن ذلك لا بأس به؛ لأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كوى سعد بن معاذ رضي الله عنه في أكحله، حين أصيب في غزوة الخندق.

الوصف الثاني: قال صلى الله عليه وسلم: «وَلَا يَسْتَرْقُونَ» يعني: لا يطلبون من أحد أن يرقيه، أي: يقرأ عليهم، أما إذا قُرئ عليه بدون طلب، فإن ذلك لا يخرج الفاعل عن كونه من السبعين ألفاً.

الوصف الثالث: قال: «وَلَا يَتَطَيَّرُونَ»، التطير: هو التشاؤم بمرئي، أو مسموع، أو معلوم.

فالتشاؤم بمرئي، كأن يتشاءم إذا رأى شيئاً ما، فإن العرب كانوا يتشاءمون بالطير، لذا سمي التشاؤم بالتطير من الطير، إذ يزجرونها فإذا ذهب إلى اليمين تفاءلوا، وإذا ذهب إلى الشمال تشاءموا، أو إلى الأمام، أو رجع، ولهم في ذلك قواعد!!

وكذلك التشاؤم بمسموع، كأن يريد الإنسان أن يفعل شيئاً، فيسمع صوتاً، وقد يكون هذا الصوت وهماً لا حقيقة له، فيقول: إن فعلت هلكت، فيتشاءم، ويصدّه عن حاجته فيتراجع.

أما التشاؤم بالمعلوم، فهو أن يتشاءم بشيء لا يُرى، ولا يسمع، لكنه يُعلم، كتشاؤم العرب ببعض أيام الأسبوع كيوم الأربعاء مثلاً، أو ببعض شهور السنة كشهر صفر، وما أشبه ذلك.

وكذا تشاؤمهم بشهر شوال في النكاح، فقد كانوا يقولون: إن الرجل إذا تزوج في شوال فزواجه فاشل، وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: تزوجني رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلّم في شوال، وبنى بي في شوال، فأَيُّكُنَّ كانت أَحْظَى عنده مِنِّي؟! (١).

تريد بذلك أن تُبطل هذه العقيدة الفاسدة، وكم من أناس تزوجوا في شوال، ودخلوا في شوال، وكانت أنكحتهم ناجحة.

وضد التطير: التفاؤل، وهو محمود، وكان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلّم يعجبه الفأل، ولهذا لما أرسلت قريش سُهيل بن عمرو للمفاوضة في صلح الحديبية، فرآه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلّم قال: «لَقَدْ سَهَّلَ أَمْرُكُمْ» (٢)، أو كلمة نحوها.

والفرق بين التطير والتفاؤل: أن التفاؤل يعطي الإنسان قوة واندفاعاً في الخير ورجاء لما عند الله تعالى، والتطير بعكس ذلك.

الوصف الرابع: قال صلى الله عليه وعلى آله وسلّم: «وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» أي: يتوكلون على ربهم لا على غيره، ولهذا قَدِّمَ المعمول، وتقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر، وهذه قاعدة: أنه كلما رأيت شيئاً مقدِّماً من مكانه، فاعلم أن ذلك

(١) أخرجه مسلم: كتاب النكاح، باب استحباب التزوج والتزويج في شوال، رقم (١٤٢٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد....، رقم (٢٧٣١-٢٧٣٢).

للحصر، وعلى هذا فيكون قوله: «وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» بمنزلة: لا يتوكلون إلا على ربهم.

والتوكل: صِدْقُ الاعتماد على الله عَزَّ وَجَلَّ، مع الثقة، وفِعْلُ السبب.

فصدق الاعتماد، يعني: أن يكون الإنسان مفوضاً أمره إلى الله تعالى تفويضاً كاملاً تاماً.

والثقة بالله تعالى: أي: أن يكون الإنسان - مع صدق اعتماده - واثقاً بأن الله تعالى حَسْبُهُ؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

وفِعْلُ السَّبَب: أي: السبب الشرعي والحسي، فمن قال: أنا معتمد على الله تعالى، ولم يفعل السبب، فهذا كذاب، فلا بُدَّ مِنْ فِعْلِ السَّبَب.

لو قال قائل: أنا معتمد على الله تعالى بأن يرزقني ولداً صالحاً، قلنا: تزوج، فقال: لا أتزوج، أنا معتمد على الله! فيقال له: هذا كذاب، وهو طعنٌ في حكمة الله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأن الله ربط المسببات بأسبابها، فكيف يكون متوكلاً على الله، ولا يفعل السبب الذي أمر الله تعالى به؟

ولهذا كان سيِّد المتوكلين محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلّم يفعل الأسباب، فيتوقَّى من الحر، ومن البرد، ومن القتال، حتى إنه في غزوة أحد لبس درعين للتوقِّي.

والحاصل: أن فعل الأسباب من تمام التوكل، ولا ينافي التوكل.

ولكننا نقول: الأسباب الشرعية: وهي ما دلَّ عليه الشرع؛ و الأسباب الحسية: وهي ما دلَّ عليه الحس والتجارب.

فمثلاً: لو قال مريض: أنا سأتوكل على الله، ولن أتداوى، وقد وُجِدَ دواء معلوم بالتجربة أنه مفيد، فهل هذا متوكل؟ لا؛ لأن التداوي لا ينافي التوكل؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بذلك، فقال: «تَدَاوُوا، وَلَا تَتَدَاوُوا بِحَرَامٍ»^(١).

فإن قيل: ما الفرق بين التداوي الذي ذكرتم، وبين الكي المذكور في الحديث؟

فالجواب أن يقال: الفرق بينهما أن الكي - وإن كان قد يرجى نفعه كثيراً - لكن فيه شيء من تعذيب النفس، وقد يكون فيه - أيضاً - اعتماد الإنسان على الكاوي، أكثر من اعتماده على المداوي.

فأما التوكل على غير الله تعالى، ففيه تفصيل:

فإذا كان الإنسان توكل على شخص أن يشتري له حاجة، فهذا ليس بالتوكل على الله؛ لأنه ليس توكل عبادة، فليس فيه رغبة ولا رهبة، والمتوكل هنا يشعر بأنه فوق الوكيل، بخلاف المتوكل على الله، فهو يشعر بأنه دونه، وأنه قد فوض أمره إليه.

ولهذا لو قلت: (إني توكلت عليك في فعل كذا وكذا)، فلا مانع؛ لأن المعنى اعتمدت عليك، لكنه ليس توكل عبادة، لخلوّه من الرغبة، والرهبة، والتفويض؛ بل المتوكل يشهد بأنه أعلى من الوكيل، كما هو الواقع.

وإذا قيل: (توكلت على الله وعليك)، فهذا حرام، لا إشكال فيه؛ لأنه شرك بين الله عز وجل وبين غيره بحرف يقتضي التشريك، وهو الواو.

وإن قال: (توكلت على الله ثم عليك)، قلنا: هذا جائز على اعتبار أن التوكل

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الطب، باب في الأدوية المكروهة، رقم (٣٨٧٤).

على الله تعالى عبادة، والتوكل على الغير: اعتمادٌ في أمرٍ يقدر عليه الغير، والمتوكل يعتقد أنه فوق رتبة المتوكل عليه؛ وهذا جائز، لكن لا ينبغي أن يُعبر بهذا التعبير؛ لأنه إذا عبّر بهذا التعبير، فسيظن الظان أن التوكل على الآخر توكل عبادة، ولذا نقول: اجتنب هذا، هذا تشريك وإن كان باللفظ فإنه لا يجوز.

والتوكل على غير الله إذا كان فيما يقدر عليه المتوكل عليه؛ فهذا لا بأس به، بشرط أن يكون فيما تدخله النيابة، ويكون قادرًا على ذلك، وأما إذا كان فيما لا تدخله النيابة؛ فلا يصح التوكيل فيه.

فلو قال شخص لآخر: أنا الليلة أشعر بالبرد، وقد وُكِّلْتُكَ في الوضوء عني، فإذا دخل الوقت صلّ عني، فهذا لا يصح؛ لأنه لا تدخله النيابة.

فإن قال: وُكِّلْتُكَ أن تحج عني، فيصح لكن بشروط مبسطة في غير هذا الموضع.

فإن قال: وُكِّلْتُكَ أن تؤدّي زكاتي، فهذا جائز.

فإذا قال: أنا متوكل على سيدي، ووليّ فلان بن فلان، الذي مات منذ خمسين سنة!! فهذا شرك أكبر؛ لأنه تفويض لمن لا يستطيع أن يفعل شيئًا، ولا شك أنه يراد به توكل العبادة، والخوف، والرجاء، والرغبة، والرغبة، فيكون شركًا.

٢١٩- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ -يَعْنِي: ابْنَ أَبِي حَازِمٍ-؛ عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا -أَوْ سَبْعُ مِثَّةِ أَلْفٍ- لَا يَذَرِي أَبُو حَازِمٍ أَهْمًا قَالَ-؛ مُتَمَسِكُونَ؛ آخِذٌ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، لَا يَدْخُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ

وَجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»^[١].

[١] نسأل الله أن يجعلنا منهم، وهذا اللفظ ليس هو الأول، ولا يتفق مع معناه؛ لأنه هنا لم يقل بدون حساب ولا عذاب، ثم بين أنهم يدخلون وهم: «مُتَمَسِّكُونَ؛ آخِذٌ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، لَا يَدْخُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ»، أي: أنهم صف واحد.

٢٢٠ - حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، أَخْبَرَنَا حُصَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فَقَالَ: أَيُّكُمْ رَأَى الْكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَ الْبَارِحَةَ؟ قُلْتُ: أَنَا، ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ، وَلَكِنِّي لِدُعْتٍ؛ قَالَ: فَمَاذَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: اسْتَرْقَيْتُ. قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قُلْتُ: حَدِيثُ حَدَّثَنَا الشَّعْبِيُّ؛ فَقَالَ: وَمَا حَدَّثَكُمُ الشَّعْبِيُّ؟ قُلْتُ: حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ حُصَيْنٍ الْأَسْلَمِيِّ أَنَّهُ قَالَ: لَا رُفِيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حِمَةٍ؛ فَقَالَ: قَدْ أَحْسَنَ مَنْ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ، وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «عَرِضْتُ عَلَى الْأُمَمِ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ؛ إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَوْمُهُ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ؛ فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ الْآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ»، ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاصَّ النَّاسَ فِي أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحَبُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وَلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَا الَّذِي تَخْضُونَ فِيهِ؟» فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ: «هُمْ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصَنِ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ؛ فَقَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ»، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ؛ فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ».

٢٢٠ - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فَضِيلٍ، عَنْ حُصَيْنٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ...». ثُمَّ ذَكَرَ بَاقِيَ الْحَدِيثِ نَحْوَ حَدِيثِ هُشَيْمٍ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَوَّلَ حَدِيثِهِ^[١].

[١] هذا الحديث فيه معنى ما سبق، من أنه يدخل من هذه الأمة الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ولا عذاب.

قوله رحمه الله: «أَيُّكُمْ رَأَى الْكُوكَبَ الَّذِي انْقَضَ الْبَارِحَةَ؟» وهذا يرى كثيراً قبل أن تعمّ الأنوار الكهربائية، ففي السماء كواكب تنقض بعضها، فيكون مضيئاً جداً جداً، وبعضها يكون انسحابه طويلاً وبعضها دون ذلك.

وقوله: «اسْتَرْقَيْتُ»، يعني: طلبت من يَرْقِينِي، فسأله: ما حملك على ذلك؟ فقال: حديث حدثناه الشعبي، قال: وما حدثكم الشعبي؟ قال: حدثنا عن بريدة بن حصيب الأسلمي، أنه قال: «لَا رُقِيَّةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ»، العين: هي عين الحاسد التي تصيب المحسود، وهي عبارة عن كتلة تخرج من قلب خبيث حاسد، حتى تصيب من أَرَادَهُ بالعين.

والعين حق ثابتة، ولو كان شيء يسبق القَدْرَ لسبقته العين، لكن ما الذي يدفع من شرها؟ الجواب: أن الذي يدفع من شرها أمور:

أولها: أن يستعمل الإنسان الأوراد الشرعية، التي تكون في الصباح والمساء.
والثاني: أن لا يهتم بها، وأن لا تكون له على بال؛ لأنه ربما لو اهتم بها، وكانت له على بال، فربما يغلبه الوهم حتى تصيبه العين، أو يظن أنه مصاب بالعين وهو غير مصاب بها، والإنسان يجب أن يكون قويًا، معتمدًا على الله عزَّ وجلَّ، مفوضًا أمره إليه.

وأما الحُمة: فهي السم، ويكون من لدغ الحية والعقرب، وغيرهما من اللواسع، وهذه -أيضًا- تنفع فيها القراءة نفعًا واقعيًا، فإن من الناس من إذا قرأ على اللديغ شُفي في الحال بإذن الله.

ومن أحسن ما يُقرأ على اللديغ: الفاتحة، كما جرى ذلك لبعض الصحابة رضي الله عنهم الذين نزلوا على قوم فلم يضيفوهم، فسَلَّط الله تعالى على سيد هؤلاء القوم عقربًا لدغته، وكأنها شديدة، فقالوا: انظروا هؤلاء الرهط الذين نزلوا بكم، هل عندهم قارئ؟ فطلبوا من الصحابة رضي الله عنهم أن يرقوا سيدهم، فأبوا لأنهم لم يضيفوهم، وقالوا: لن نقرأ إلا أن تعطونا جُعلاً، فأعطوهم غنمًا، فذهب أحدهم يقرأ على هذا اللديغ سورة الفاتحة، فقام اللديغ كأنها نُشِط من عقال، يعني: كأنه بعير فُكَّ عِقَالُهُ، فقام في الحال، فأخذوا الغنم.

ثم صار عندهم إشكال: هل تحل لهم أو لا؟ حتى وصلوا إلى المدينة، فذكروا ذلك للنبي صَلَّى الله عليه وسلَّم، فقال: «خُذُوا، وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ بِسَهْمٍ»^(١)، فأذن لهم أن يأخذوا هذا، وطَيَّب قلوبهم بأنَّ طلب أن يضربوا له بسهم.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب النفث في الرقية، رقم (٥٧٤٩)، ومسلم: كتاب السلام، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار، رقم (٢٢٠١).

وهو عليه الصلاة والسلام ليس بحاجة - فيما يظهر - لهذا اللحم، ولكن من أجل أن يطيب قلوبهم؛ لأن الإنسان قد يقتنع بالفعل أكثر من اقتناعه بالقول.

فالحاصل: أن من الرُقَى التي تَرْقِي مَنْ أُصِيبَ بِالْحُمَةِ: سورة الفاتحة، وهي رقية في كل مرض، لكن لا بد من شرطين -بالإضافة إليها- وهما:

الشرط الأول: إيمان الفاعل، بأن يصدّق، ويؤمن بأنها رقية.

والشرط الثاني: قبول المحل (الشخص المُرَقَى)، بأن يكون معتمدًا على الله عزَّ وجلَّ، ثم على هذا، وهو قريب من الإيمان.

فلو كان الذي يُقرأ عليه الفاتحة يشك في هذا، ويقول: والله لا أدري، لكن نجرب، فإنه لا تنفعه، إذ لا بُدَّ من قبول تام.

وقوله رحمه الله: «قَدْ أَحْسَنَ مَنْ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ»، وهذه كلمة ينبغي أن تكون مثلاً، وأظنها ذهبت مثلاً؛ لأن الله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها.

وقوله: «وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ -أي: في المنام-، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهِيْطُ»، أصل الرَّهِيْطُ ما دون العشرة، وإذا كانوا رُهَيْطًا صاروا قليلين جداً.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ» يعني: لم يؤمن به إلا رجل، أو رجلان.

وقوله عليه الصلاة والسلام: «وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ»؛ لأنَّ من الأنبياء مَنْ قُتِلَ، كما قال الله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ١٢٢]، والذي قتل في الغالب أنه لا يُتَّبَع، ولكن هذا من رحمة الله بالخلق أن يعذر لهم بإرسال الرسل، حتى تقوم عليهم الحجة.

وقوله: «إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ»، السواد العظيم، يعني: العدد الكثير؛ لأن الجسد، أو الجسم يسمى: سَوَادًا، فنقول -مثلاً-: هذا سواد شيء، يعني: جسم شيء.
وقوله: «فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَوْمُهُ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ»، والأفق فوق.

وقوله: «فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ الْآخِرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ»، ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ النَّاسَ فِي أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ»، (خاض) يعني: تكلموا، وانتشر الحديث بينهم، فمنهم من يقول كذا، ومنهم من يقول كذا.

وقوله: «فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحَبُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» المراد بهم، أي: الذين صحبوه صحبة خاصة، وليس المراد مطلق الصحبة؛ لأن جميع الصحابة رضي الله عنهم كلهم قد صحبوه مطلق الصحبة.

ثم قال: «وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَا الَّذِي تَخَوْضُونَ فِيهِ؟» فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ: «هُمْ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ».

وهذا الحديث - بهذا اللفظ - فيه وهم بزيادة، ووهم بنقص:

أما الزيادة: ففي قوله: «لَا يَرْقُونَ» فإن هذه لا شك أنها لا تصح عن النبي عليه الصلاة والسلام؛ لأن الراقي محسن، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان يَرْقِي.

وأما النقص: ففي سقوط لفظة: «وَلَا يَكْتُؤُونَ».

وفي هذا دليل على أن هذه الكتب الصحيحة قد يحصل فيها الوهم، وقد تقدّم شيء من ذلك في حديث الإسراء والمعراج، حيث ذكر بعضهم أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان في السماء السادسة، وهو في السماء السابعة.

ولكن هذا لا يقدح في صحة الكتاب؛ لأن هذه الرواية - التي وقع فيها الوهم - مسبوقة أو ملحقة بروايات ليس فيها وهم، فلا مجال للطعن في هذا الكتاب من أجل هذا الوهم الذي يحصل في بعض السياقات.

لكن هذا يدل على كمال أمانة المخرّجين، وأنهم يذكرون اللفظ كما سمعوا، ولا يغيرونه، بغض النظر عن كونه شاذاً أو محفوظاً، صحيحاً أو غير صحيح، فإن هذا يُعلم من السياقات الأخرى.

وبناءً على هذا، فلا يمكن أن ننكر تضعيف ما جاء في الصحيحين أو غيرهما في بعض السياقات؛ لأننا نقول: هذا السياق الذي وقع فيه الوهم من الراوي، ولكن السياقات الأخرى ليس فيها وهم.

فإذا قال قائل: لماذا إذن يأتي به؟ قلنا: يأتي به: إما لفائدة في بعض الحديث الذي وقع فيه الوهم، وإما لبيان شدة الأمانة في نقل الحديث على ما هو عليه. والعلماء رحمهم الله الذين يتلقون هذه الكتب المسندة، يبينون ما هو وهم، وما هو صحيح.

وقوله: «فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصَنِ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُجْعَلَنِي مِنْهُمْ؛ فَقَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ»، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُجْعَلَنِي مِنْهُمْ؛ فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»؛ سبق الكلام على هذه الجملة من الحديث.

وفيه فوائد:

١ - تساؤل السلف الصالح رحمهم الله عما يقع في الآفاق: في السماء والأرض، وليس هذا من باب التحدث بما لا يعني؛ لأنه قد يكون مما يعني الإنسان أن يسأل عما يجري في الكون؛ ليستدل به على ما يدل عليه من صفات الله عز وجل.

٢ - حرص السلف رحمهم الله في البعد عن أن يُمدحوا بما لم يفعلوا؛ لقوله: أما إني لم أكن في صلاة، ولكن لدغت؛ لأنه لما قال: رأيت الكوكب قد يظن الظان أنه كان يصلي، فأراد أن يدفع ذلك عن نفسه.

وإذا رأيت الفرق بين زمانهم وزماننا هذا؛ فإنك تعجب كثيرًا من الناس الذين يحبون أن يمدحوا بما لم يفعلوا، وأكثر السلف رحمهم الله لا يحبون ذلك؛ بل إذا حصل ما يوهم أنهم فعلوا شيئًا يمدحون عليه تبرؤوا منه، كما في هذا الحديث.

باب كَوْنِ هَذِهِ الْأُمَّةِ نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ

٢٢١- حَدَّثَنَا هَنَادُ بْنُ السَّرِيِّ، حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، قَالَ: فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، قَالَ: فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَسَأُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ؛ مَا الْمُسْلِمُونَ فِي الْكُفَّارِ إِلَّا كَشَعْرَةِ بَيْضَاءٍ فِي ثَوْرِ أَسْوَدَ، أَوْ كَشَعْرَةِ سَوْدَاءٍ فِي ثَوْرِ أَبْيَضَ».

٢٢١- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ -وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى-؛ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قُبَّةٍ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِينَ رَجُلًا فَقَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟»، قَالَ: قُلْنَا: نَعَمْ؛ فَقَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟»، فَقُلْنَا: نَعَمْ؛ فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَحْمَرِ».

٢٢١- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا مَالِكٌ -وَهُوَ ابْنُ مِغْوَلٍ-، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى قُبَّةِ آدَمَ، فَقَالَ: «أَلَا لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ! أَتَحِبُّونَ أَنْكُمْ رُبْعُ أَهْلِ

الْجَنَّةِ؟»، فَقُلْنَا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ فَقَالَ: «أَتُحِبُّونَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟»، قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ قَالَ: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، مَا أَنْتُمْ فِي سِوَاكُمْ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَبْيَضِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ»^[١].

[١] هذه من نعم الله عزَّ وجلَّ على هذه الأمة، حيث جعلهم أكثر أهل الجنة؛ لأنهم نصف أهل الجنة، وبقية الأمم كلها النصف الآخر؛ بل ورد أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «إِنَّ الْجَنَّةَ مِثْلُ عِشْرُونَ صَفًّا؛ مِنْهَا ثَمَانُونَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ»^(١)، وعلى هذا فتكون أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثلثي أهل الجنة.

ولقد حدَّث النبي عليه الصلاة والسلام الصحابة رضي الله عنهم بأن الله تعالى يقول -في يوم القيامة-: «يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، قَالَ: يَقُولُ: أَخْرِجْ بَعَثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا بَعَثَ النَّارِ؟ -أي: مَبْعُوثَهَا- قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِئَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ»، يعني: واحد من الألف في الجنة، والباقي في النار، فعَظُمَ ذلك على الصحابة رضي الله عنهم، فقالوا: يا رسول الله! أينا ذلك الواحد؟ فقال: أبشروا، فإنكم في أمتين ما كانتا في شيء إلا كثرتاه: ويأجوج ومأجوج، وهما من بني آدم.

ثم قال صلى الله عليه وسلم: «أَتُحِبُّونَ أَنْتُمْ رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟»، فَقُلْنَا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ فَقَالَ: «أَتُحِبُّونَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟»، قَالُوا: نَعَمْ

(١) أخرجه الترمذي: كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صف أهل الجنة، رقم (٢٥٤٦)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب صفة أمة محمد ﷺ، رقم (٤٢٨٩).

يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ قَالَ: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ»؛ فهان الأمر على الصحابة رضوان الله عليهم.

ثم ضرب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مثلاً لقلّة المؤمنين بالنسبة للكفار، فقال عليه الصلاة والسلام: «مَا الْمُسْلِمُونَ فِي الْكُفَّارِ إِلَّا كَشَعْرَةٍ بَيْضَاءٍ فِي ثَوْرٍ أَسْوَدَ، أَوْ كَشَعْرَةٍ سَوْدَاءٍ فِي ثَوْرٍ أَبْيَضَ»، وإذا كان المسلمون في الكفار ليسوا إلا كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود، فهذه الشعرة ليست بشيء، فالحمد لله رب العالمين، وأسأل الله أن يجعلني وإياكم من أهل الجنة.

**باب قوله : « يَقُولُ اللَّهُ لَأَدَمَ : أَخْرِجْ بَعَثَ النَّارَ ؛
مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِئَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ ».**

٢٢٢- حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ الْعَبْسِيُّ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا آدَمُ! فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ - قَالَ - يَقُولُ: أَخْرِجْ بَعَثَ النَّارَ، قَالَ: وَمَا بَعَثَ النَّارَ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِئَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ؛ قَالَ: فَذَلِكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ»؛ قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَيْنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ؟ فَقَالَ: «أَبْشِرُوا، فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا وَمِنْكُمْ رَجُلٌ». قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ»؛ فَحَمِدْنَا اللَّهَ وَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ»؛ فَحَمِدْنَا اللَّهَ وَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ إِنَّ مِثْلَكُمْ فِي الْأُمَمِ كَمِثْلِ الشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ».

٢٢٢- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ. (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ؛ كِلَاهُمَا عَنِ الْأَعْمَشِ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، غَيْرَ أَنَّهُمَا قَالَا: «مَا أَنتُمْ يَوْمئِذٍ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَبْيَضِ»، وَلَمْ يَذْكُرَا: «أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ»^[١].

[١] هذا الحديث له صلة بما قبله، وهو أن هذه الأمة تكون نصف أهل الجنة.

وفي هذا الحديث إشكال، وهو قوله: «بَعَثَ النَّارِ؛ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِئَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ»، وفي آخر الحديث قال: «مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا وَمِنْكُمْ رَجُلٌ» ووجه الإشكال: أن المجموع سيكون -إذا أخذنا بظاهره- ألفًا وواحدًا، وعلى اللفظ الأول: أن الناجي من كل ألفٍ واحدٌ، ومع العدد الكثير سيكون الفرق كثيرًا جدًّا، فكيف المخرج من هذا الإشكال؟.

المخرج من هذا الإشكال، أن يقال: إن المعنى: من كل ألفٍ تسعٌ مئة وتسعة وتسعون، مضافًا إليهم من ليسوا من يأجوج ومأجوج من الكفار، فمن يأجوج ومأجوج ألف، ومن هذه الأمة واحد، وإذا كانت نسبة يأجوج ومأجوج للمجموع توافق هذا الجزء من الألف، استقام الكلام.

ويحتمل أن نجبر الكسر في تسع مئة وتسعة وتسعين من الألف، فيكون المعنى: أنه يدخل من الألف -من يأجوج ومأجوج-: تسع مئة وتسعة وتسعون، والله أعلم.

والمعروف من الأحاديث الأخرى: أن من كل ألف واحدًا.

وفي هذا الحديث فوائد عقديّة، منها:

١ - إثبات القول لله عزَّ وجلَّ، وأن الله يقول، ولقد ورد في بعض ألفاظ هذا الحديث: «فَيُنَادِي بِصَوْتٍ -يعني: الله عزَّ وجلَّ-: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ»، وهذا هو الذي عليه أهل السنة والجماعة: أن الله تعالى يقول وينادي بصوت، ولكن ليس صوته كأصوات المخلوقين؛ لقول الله تعالى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» [الشورى: ١١].

أما الحروف التي يكون منها كلامه، فهي نفس الحروف التي يتكلَّم بها الناس،

فمثلاً: كتاب الله العزيز، كله حروف وكلمات، مما ينطق به الناس، ولكن الله عزَّ وجلَّ حين تكلمَ بها، لم يكن صوته بها كأصوات المخلوقين.

٢- فيه ردُّ على الذين يقولون: إن كلام الله تعالى مخلوق؛ وذلك لأن القول وصف لا بُدَّ له من موصوف يقوم به، وإذا كان كذلك؛ لزم أن يكون من صفات الله تعالى.

٣- وفيه -أيضاً-: إبطال لقول مَنْ يقول: إن كلام الله تعالى هو المعنى القائم بنفسه، وأن ما يسمعه مَنْ يكلمه الله أصوات مخلوقة، خلقها الله عزَّ وجلَّ لتعبَّر عما في نفسه، وهؤلاء هم الأشاعرة.

وقولهم -عند التأمل- أبعدُ عن الصواب من قول المعتزلة والجهمية؛ لأن المعتزلة والجهمية يقولون: هذا الذي سمع هو كلام الله حقيقة، ولكنه مخلوق كسائر المخلوقات، بينما الأشاعرة يقولون: إن الذي سُمع ليس هو كلام الله حقيقة؛ لأن الكلام الحقيقي هو المعنى القائم بالذات، وما سُمع فهو مخلوق ليعبر عنه.

فاتفقت الطائفتان على أن ما سُمع فهو مخلوق، لكن الجهمية والمعتزلة قالوا: إنه حقيقة، والأشاعرة قالوا: إنه مجاز عن المعنى القائم بالذات، فصار قول هؤلاء الأشاعرة أبعد عن الصواب من المعتزلة والجهمية، وكلُّ منهما مخطئ.

فالكلام وَصِفٌ يقوم بالمتكلم، وهو من صفات الله عز وجل.

ثم هل كلام الله تعالى حادث أم قديم؟

نقول: أما جنس الكلام، فهو قديم، أي: أن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلمًا، وأما آحاد الكلام وأفراده -والتي تكون حسب ما تقتضيه مشيئة الله وحكمته- فهذه حادثة.

فمثلاً: مخاطبة الله تعالى لآدم عليه الصلاة والسلام يوم القيامة حادثة يوم القيامة، يقول: يا آدم، ومخاطبة الله لآدم عليه الصلاة والسلام في الجنة -أيضاً- حادثة، وهلم جراً.

وقول الله عزَّ وجلَّ للمصلِّي -إذا قال: الحمد لله رب العالمين- قال: حمدي عبدي^(١)، هذا كلام حادث، وعلى هذا فِقْسُ.

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]؛ فمتى كان هذا القول؟ والجواب: أنه كان عند الإرادة، والإرادة تكون عند الفعل: ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾.

والمسألة ليس فيها إشكال، وليس في إثبات كلام يكون حادثاً أي نقص.

يقول هؤلاء -الذين عللوا بأمور ظنوها عقليّات، وهي وهُميات-: يقولون: إذا قلتُم بأن الله يوصف بالحادث؛ لزم أن يكون الله حادثاً؛ لأن الحوادث لا تقوم إلا بحادث، وسبحان الله! هذا التعليل -وهو قولهم: الحوادث لا تقوم إلا بحادث- كذبٌ، ولا يصح عقلاً؛ لأن الحوادث تقوم بغير حادث.

ويدلُّ لهذا: أننا نحن الآن مخلوقون مِن عَدَم، وما نُحَدِّثُهُ من بعد فإن وجودنا سابق عليه؛ إذن فما يُحَدِّثُهُ الله عزَّ وجلَّ من أفعاله وكلامه؛ فإن وجود الله سابقٌ عليه، ووجود الله تعالى معلوم عقلاً أنه أزليُّ.

وبهذا يتبيّن كذب هذه المقولة: أن الحوادث لا تقوم إلا بحادث.

إذن فعقيدتنا: أننا نثبت لربنا جلَّ وعَلا كلاماً حقيقياً، يتكلم به كما يشاء،

(١) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة...، رقم (٣٩٥).